

- ٢١٣ -

الجاحظ مما قدمنا خلال السطور السابقة أو لم نقدم ، فاننا نجد أن الطابع الغالب على حروف كلمات الجاحظ والفاظه ، كثيرا ما يقترب به من هذا الأسلوب الصحفي ، ومن بينها على سبيل المثال :

— أن حروفه كانت فى كثير من الأحوال تتميز بتعبيرها الصادق عن المعنى الذى تشير اليه الكلمة التى تتكون منها .

— أن اثرها النفسى كان يعمل عمله ، وكان من السهل على القارئ الفاهم والمتمكن أن يضع يمه عليه .

— أن مجمل حروف كلماته فى معظمها كان يقع بين الثلاثة حروف والخمسة حروف ، وهى النسبة الأنموذجية لعدد حروف الكلمة « الاتصالية » السليمة التى تتسلل الى الأسماع والأفهام فى سهولة ويسر ، بل وكلما كان عدد حروفها أقل - وهو ما رأيناه عنده - كان ذلك أقرب الى قراءتها وفهمها

— أنه لم يثق على الآذان والاقهام بتلك الحروف الفخمة الضخمة التى تكررت عند آخرين من الكتاب - الا لغرض واضح - وحتى فى حالة ذلك فقد كان الرجل يبتعد عنها قدر الطاقة .

— أنه كان يحافظ على الجرس الموسيقى للحرف ، دون اسراف فى ذلك ، ودون تعمد له ، وكانت الموسيقى هذه من النوع الهادئ لا الصاخب ، من النوع الذى يذكر بالقطع المتميزة من السيمفونيات التى تحكى مسرى النسيم وخرير المياه وتغريد البلابل ، وليست موسيقى « الجاز » الصاخبة ذات الجلبة والضجيج . . . وقد ظهر ذلك واضحا فى مقالاته ذات الصلة الوثيقة بالأدب الصحفى . . . وقد يسأل سائل هنا . . . هل يدخل هذا الجرس ضمن الأسلوب الصحفى ، وأقول فى أحوال قليلة ، عندما يوجد من يقدر عليه ، خاصة فى مجالات الأعمدة الانسانية واليوميات ، وعنوانات ومقدمات ونهايات بعض فنون التحرير . . . أقول فى أحوال قليلة ، وبالنسبة لبعض الفنون ، وبعض الوحدات التحريرية . . .

ثم ان هذه الجرس هنا لم يك « صناعيا » أو « مفتعلا » بحيث يحرص